

افتتاحية العدد

بخلاف التراث المادي الذي يمكن أن يُصان ويُحفظ على نحو أيسر، لكونه ملموساً، فإننا، إزاء التراث الثقافي غير المادي، نواجه مشكلات جمة تعترض صَوْنَهُ، فلا يمكن التعامل معه في المتاحف لأنه يتصل بعقليّة الناس ورؤيتهم للعالم، لذا فإن أيّ عمليّة لصون هذا التراث لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار أنماط حياة المجتمعات المحلية وظروفها. كان ذلك حافزاً لمنظمة اليونسكو، على الرغم من الصعوبات المتوقّعة إزاء تباين أنماط التراث الثقافي غير المادي ومجالاته والمجتمعات الحاملة له، على إصدار اتفاقية اليونسكو بشأن صون التراث الثقافي غير المادي، انطلاقاً من فكرة أن التراث الثقافي أداة هامة وفاعلة في تحقيق السلام والتنمية، فاتباع الطرق السليمة في إدارة التراث الثقافي بشكل يتناسب مع احتياجات الوطن والعالم، سيرتقي حتماً بالنمو الاقتصادي، وينعكس إيجاباً على المجتمع.

تسعى مجلة «الفنون الشعبية» إلى تجسيد رؤية وزارة الثقافة الأردنية المنبثقة من اتفاقية اليونسكو المذكورة؛ إذ بدأت الوزارة منذ إنشاء مديرية الثقافة في إطارها الإداري عام ٢٠١٠، بالتأسيس لاستراتيجية وطنية لصون التراث الثقافي غير المادي في الأردن، وتجميع الجهود المتناثرة وتنسيقها في خط منهجي واحد يقوم على تنسيق المشاريع والبرامج وتنفيذها على نحو علمي دقيق، وذلك بالتعاون مع الأطراف المعنية الأخرى كالمؤسسات الجامعية ومعاهد البحوث وغيرها، إضافة إلى تشجيع إقامة شراكات وشبكات كفيلة بخلق ديناميكية إيجابية بين الجماعات والمؤسسات المتخصصة والهيئات الدولية والسلطات المحلية.

تعدّ ممارسات الطب الشعبي التي يتناولها هذا العدد من مجلة «الفنون الشعبية»، من أهم ما أنتجه الإنسان بأجناسه وأعرافه وثقافته المختلفة من خبرات، وذلك نتيجة لتعامله واحتكاكه بالطبيعة من حوله، فأبدعت كل جماعة إنسانية على وجه البسيطة طريقة خاصة بها للاستشفاء من خلال منتجات البيئة المتباينة والمختلفة، من صحراوية، أو بحرية، أو زراعية أو غيرها. ويُحسب هذا الموضوع على التراث الثقافي غير المادي، ويقع تحت مجال «الممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون» حسب اتفاقية اليونسكو ٢٠٠٣؛ إذ شكّل «الطب الشعبي» عبر العصور حقلاً معرفياً واسعاً، وتراكماً إبداعياً وممارسات يتوجب حفظها وصونها وتوثيقها.

يُعرّف الطب التقليدي (الشعبي)، بحسب منظّمة الصحة العالمية، بالمعارف والمهارات والممارسات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات والتي تُستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها. ويشمل ذلك طائفة واسعة من المعالجات والممارسات التي قد تختلف باختلاف البلدان والمناطق. ويُشار إلى هذا الطب، في بعض البلدان، بمصطلح «الطب البديل» أو «الطب التكميلي». ويندرج تحت ذلك طرق العلاج بواسطة النبات والحيوان والمعدن، إضافة إلى الروحانيات. ويُعدّ هذا المجال من التراث الثقافي غير المادي واحداً من ركائز التنمية المستدامة، وهو ما تركّز عليه اتفاقية اليونسكو

المذكورة؛ إذ يُحاول المجتمع الدولي أن يضمن الاعتراف بالنظم الصحية التقليدية التي تُسهم في رفاهية الجماعات والمجموعات، واحترامها وتعزيزها، وما يرتبط بها من المعارف والممارسات وأشكال التعبير والطقوس والمعتقدات، وتسخير إمكاناتها للمساهمة في تحقيق الرعاية الصحية الجيدة للجميع، شريطة احترام الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، والحوار البناء القائم على مدّ جسور التنوير والعلم والسلام، ونبذ أفكار الجهالة والوهم والشعوذة.

إن العلاقة بين مظاهر التراث المادية وغير المادية، من جهة، والتنوع الثقافي وأشكال التعبير عنه من جهة أخرى، وطيدة ومتينة، ولا يمكن وضع حد فاصل ودقيق بينها، فالتنوع الثقافي وتعدديته في أي مجتمع أو إطار اجتماعي أو سياسي، ينعكس أيضاً على ممارسات الطب الشعبي، فكل ثقافة مهما اختلفت في الحجم والقوة تتمثل بأنظمة قيمها المختلفة في سياق وحدة اجتماعية واحدة، بتنوع أجناسها، وأعراقها، وأنماط قيمها الاجتماعية، وخلفياتها المهنية ومعتقداتها الدينية المتعددة. لذا فإن تنوع الثقافات وما تنتجه من تراث مادي ومعنوي، أو كلاهما معاً، نحو الطب الشعبي بمهاراته ومعارفه غير المادية، ومنتجاته المادية، يعد كنزاً لا يمكن تعويضه إن اندرس واختفى، فهو منبع للغنى الثقافي وشاهد على الإبداع البشري.

دارت مساهمات هذا العدد حول الطب الشعبي أو البديل من حيث تعريفه، وما له وما عليه، وأنواعه ومجالاته، وممارساته، واتخذ بعض الأمثلة من الأردن وخارجه، والألفاظ المستخدمة في هذا المضمار، والتوعية بأهميته، وبعض الرواد الأردنيين الذين عملوا في حقله، وخصّصنا مقالة للطب النبوي، وأهم من اشتغلوا وألّفوا فيه عبر تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، كما حظينا بمقالتين باللغة الإنجليزية، الأولى حول بعض مظاهر الطب الشعبي المدرجة على القائمتين، التمثيلية والصون العاجل، لدى اليونسكو، وأخرى حول السياحة العلاجية في الأردن. ولما كان الدكتور هاني العمدة واحداً من الرواد الكبار في توثيق كثير من تجليات التراث الثقافي غير المادي في المملكة، فقد أفردنا باباً خاصاً يسوق أهم إنجازاته، علاوة على موضوعات أخرى ذات صلة.

رئيس التحرير: هاني فيصل هياجنه



